بديع الزمان مفكر العصر الحديث

جاجليا مريم دمير *

أيها السيدات والسادة الكرام، أخوتي الاحباء.

لقد نشأت في اسرة كاثوليكية في المانيا. والآن عندما اتحدث مع اي شخص من ابناء وطني، ألمانياً او مسلماً، يوجهون لي مباشرة او بعد فترة قصيرة السؤال التالي: "منذ متى وأنت مسلمة؟".

وعندما اجيب "إنني كنت دوماً مسلمة"، فإن ردة الفعل غير المسلم والمسلم يكون كبيراً ومدهشاً.

بالطبع إنهم ينتظرون مني ان أقول منذ كذا سنة. لكن هذا السؤال يشمل أشياء كثيرة.

والمسلمون يشاركونى الرأي في جوابي بعد تفكير قليل. أما غير المسلمين فعندما يتعلموا معنى "الولادة على الفطرة" تتغير رد فعلهم على هذا الجواب.

والمسلم من ينتسب للاسلام، والمؤمن من يستسلم لله. وانا كنصرانية يمكن ان أتخذ مثل هذا الموقف. يعني أؤمن بالله واسلم. وكل مسلم يعرف ان كل مولود يولد على الفطرة ويجئ الى الدنيا مؤمناً.

إن المواقف الاساسية والقطعية للناس مخبئة وراء هذه الاسئلة. ويريد الناس وضع الآخرين داخل قوالب معينة.

وهي قوالب معينة رسمها الناس لانفسهم وتعلموها من الحياة والمجتمع والبيئة والتجارب. وبهذا يبسط الناس الامور. وهكذا يظهر خطر وضع الآخرين داخل قالب بسيط. وقد روى حديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم على شكل سؤال في هذا الموضوع "وهل شققت قلبه؟".

وبالنسبة لي إن هذا السؤال يخاطب التسامح الموجود في اعتقادنا بشكل خاص. ويظهر أمامنا في القرآن والسنة ان التسامح والصبر من السلوكيات التي يجب اتخاذها تجاه الآخرين. لقيمة الصدق والمرحمة التي هي من المبادئ التي يضعها الاسلام فوق كل شئ، ومقبولة عند المسلمين.

ورغم ذلك، إن العالم الغربي، وحسب الثقافة الغربية النصرانية، يدّعون انهم يحبون مساعدة الآخرين، واصحاب مرحمة، وتمثال السلام، وأن غيرهم، يعني المسلمين، غير مسامحين ويتخذون سلوكاً سيئاً تجاه الاديان الآخرى. وإن العالم الغربي يتهم الاسلام بانه دين تعصب، وان افكار المسلمين وسلوكهم ضيق وتعصبي. كما يدّعون أنه لا توجد حرية دينية في الاسلام، وأنه لا مكانة لحقوق الناس المقبولة في الاسلام.

نعم نحن المسلمين نتعرض الى هذه الاتهامات الشديدة في العالم. وهل المسلمون أنانيون لهذا القدر حقيقة؟

وهل كونهم مشغولون بأنفسهم بكثرة، لا يحاولون ايجاد الحلول للقضايا المتعقلة بالمواضيع الكونية؟

هل هناك نقص في التربية وعدم توفر الإمكانيات المادية؟

وأول شئ تعلمته حول الاسلام هو استخدام عقلي والبحث عن كل شئ وفهمه. وتعلمت البحث في المواضيع الدينية. وذلك لأن الاعتقاد قضية لا تتعلق بالقلب فقط، وانما تتعلق بالمنطق أيضاً.

القرآن لا يريد تصديقاً أعمي. ويطلب منا القرآن ان نعرف مسؤولياتنا، ونفكر بالخلق وان نشاهد ان وراءه خالق.

إن كل إنسان يسعى لايجاد الاجوبة للقضايا الاساسية للانسانية، مثل معنى الحياة، ولماذا نوجد في الارض، ولماذا المرض، والمآزق والبلاء وغيرها، بالطبع إن لم يتجاهلها الانسان.

لقد وجدت في الاسلام اجوبة مختلفة لهذه الاسئلة توسع أفكاري وشعوري وتفتح افقي. وقد وجدت خزينة غنية جداً حول

كاتب كتاب الطبيعة وخالقه الذي يعرّف لنا باسمائه في كتابه هذا.
وهو دين، يتحد مع العلوم وخاصة العلوم الطبيعية ويتممان بعضهما، وكل علم ومعرفة في الكائنات توصل الى ذات الواحد الأحد. وقد ادهشني شموله العالمي واساسه. وقد تيسرت لي فرصة معرفة حقيقة الخالق والخلق، ومعرفة الاسلام ورأى العالم حوله منذ البداية وكنت اشعر كأنني اعرف هذه الحقائق دائماً والآن اتعلم تعريفها بأجمل شكل.
وقد كانت ترتّب محاضرات إسلامية في المانيا تحت شعارات مثل "الاسلام، الدولة الأجنبية" وهدفها هدم الحكم المسبق على المسلمين والتفاهم المتقابل. وأود ان ابين هنا ان الذي هداني لعالم العقيدة هو بديع الزمان سعيد النورسي. لكنني سأتناول اثاره بعد قليل.
وبعد ذلك عندما التقيت مع المسلمين الآخرين في النداوت، واجتماعات النساء بهدف تعلم شيئ حول الدين في هذه الاجتماعات، لفت انتباهي شئ وهو. إن الشئ الذي يناقش هو ظاهري وشكلي، ولم يتم النزول الى لب القضايا بشكل جدي. إن مناقشة المواضيع الاصلية الدائرة حول قاعدة ما، مثلاً، مواضيع النظافة، وطول اللباس وشكل الزي، والمواد الاضافية في المواد الغذائية، وكونها من لحم الخنزير او شحمه، جلب انتباهي كثيراً. لم أكن اعتقد ان هذه المواضيع ستشبع روحي.
لا شك ان تعلم الاوامر والنواهي امر مهم، لكن يجب الانتباه كثيراً في تقييمها وتطبيقها حسب الاوضاع، ويجب عدم التغاضي عن الغايات الاصلية للقواعد والاهمية التي تحملها. كما ان هناك خطر سوق بعض الناس الى الوسوسة والاختلاف دون حاجة لها. ويمكن ان اقدم هذا المثال:
أنا أعتقد أنه يجب التفريق بين حكم تحريم لحم الخنزير الذي وضعه القرآن عن التحريم الذي وضعه الناس على انفسهم من اجل الجيلاتين في اللبن مثلاً.
يقول القرآن في سورة الاعراف في الآية ١٩٩ خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين. لكن الذي شاهدته انا ان الشيخ كلما كان صلباً ومتعلقاً بالنواهي والمحرمات يُرى متديناً أكثر. مع العلم يجب ان يكون العكس هو الصحيح.
وفي النتيجة، ان الاشتغال دوماً بهذه الفرعيات التي تظهر المنظر الخارجي فقط، تجعل اعتقاد الشخص يرتبط بها، ويظهر خطر إهمال لب الدين.
وبالطبع يكون أحياناً ترك تناول اللبن الذي يحتوي الجلاتين، اسهل من اشتغال الشخص بنفسه، وتشكيل شخصيته ، والاخلاص وحب اخوانه، وتنشئة ابنائه والقيام بمسؤولياتهم.
والشئ الآخر الذي شاهدته هو ان ابناءنا ينشأون في فراغ روحي ومعنوي. وان كثيراً من الآباء ليسوا على المستوى الذي يستطيعون نقل الاعتقاد الحساس لابناءهم. وإن اثمن سنوات الطفل الذي يستطيع تعلم كل شئ فيها بسهولة تنقضى دون تعلم اي شئ.
وكثير من الآباء والامهات لا يعرفون سوى بعض العادات والقواعد الشكلية والاوامر حول دينهم.
ورغم ذلك كله، يريدون نقل التدين لابناءهم، ويطالبونهم بتطبيق هذه القواعد بشكل اعمى وتعصبي. وهذا الموقف في المانيا يترك الآخرين والمعلمين والمربين للنقد و جهاً لوجه، وهذا السلوك يخالف طراز التربية في القرآن الكريم.
إن منهج القرآن ليس على شكل: "هذا ممنوع، وهذا غير ممنوع، وانت مجبور على تطبيقه". بل يخاطب العقل تكراراً ومراراً و تعرض الاوامر والنواهي على شكل بحيث تسوقنا للتفكير "أليس هذا هو الأصح" ويخاطب المنطق. وعلينا ان نقبل ذلك ونفهمه ونعرف مسؤولياتنا.
وبهذا نستطيع القيام بواجباتنا على شكل افضل، وعندها نشكر الله على أوامره، وعلى أصغر قواعد شريعته.
والإطاعة العمياء لا تكسب شخصيتنا أى شئ . وهذه الاطاعة العمياء تجلب التحديد، ولا تترك الإنسان حراً. مع العلم ان العقيدة والدين يجلبان الحرية.

إن السلوك الحساس المستند على المنطق والعقل، يحافظ على الشخص من الافراط في القضايا الدينية، وان اتخاذ هذا المقياس متوازناً يكسب معرفة التفريق بين النقاط المهمة والنقاط غير المهمة.

وقد شاهدت كثيراً من الناس ضاعوا في متاهات الفروع وكثرة الإيضاحات وإننا نضيّع زماننا وطاقتنا باتباع الفرعيات ومناقشتها. والقضايا الاصلية بقيت دون حلول.

وإن كثيراً من علماء الالهيات ورجال الدين قطعيين ومعاندين وغير مرنين في آراهم وغير صابرين تجاه اي انتقاد.

وإن طراز تفكير معظمهم بسيط جداً. وليس امامهم سوى بعض الخيارات مثل "نعم" أو "لا" و "ممكن" او "غير ممكن". ولسنا معتادين على تقييم قضية ما بوضع جميع وجهات النظر بعين الاعتبار ووزن فوائدها واضرارها. لكن وكما بينت في البداية انه لا توجد أسئلة سهلة دوماً مثل "الولادة على الفطرة" ، وأن الاجوبة لا تكون بسيطة جداً أيضاً.

إن مشكلتنا ليست كوننا غير مسلمين. والمسلمين يشكلون اكبر تجمعاً بعد النصارى. لكن إن قول الانسان انا مسلم لا يعني انه إنسان جيد ومسلم جيد.

ومن طرف آخر إن معظم المسلمين ليسوا قادرين على تحليل الاحداث الحساسة جداً في موضوع الدين من زاوية نظر دينية. وفي النتيجة إن معظمهم لا يفهمون النقطة المهمة جداً في الحقيقة، ولا يجد الجهة التي عينها الاسلام. إن مشكلتنا كما بينت، هي عدم الاستقامة والانشغال بفرعيات الدين.

وكلما أغلقت ابواب المنطق والعقل والدين، تبقى الابواب مفتوحة للتعصب الديني. والتعصب لا يتفق في اي شكل من الاشكال مع الدين، ويخالف العقيدة لأبعد الحدود.

وهناك حديث للرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الموضوع:

"قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلك المتنطعون قالها ثلاثاً"مسلم، العلم ٧، أبو داود ، السنة : ٥

ويمكن ان نطيل قائمة الامراض التي يعيشها المجتمع المسلم.

كيف سنخرج من هذه القضايا "كيف سنتناول القضايا" ، بديع الزمان سعيد النورسي يعرض لنا أجوبة بشكل واضح وقطعي مترشحة من القرآن مباشرة.

وإن خدمته هذه هي توجيه الانظار الى اللب والهدف الاصلي، والتوجه الى الغاية الاولية للدين.

نعم هناك كثير من الناس لا يعرفون الدين. الدين ليس ايديلوجية سياسية، بل هو يعين وجهة الضمير، قضية وجدانية تتعلق بشخص كل إنسان.

الدين هو كما بيّن بديع الزمان، أمانة مقدسة يملكها كل شخص. لذلك يجب عدم استخدامه بشكل سيئ ابداً، وفي اي مجال كان.

إن آراء بديع الزمان وافكاره تساعدنا نحن المسلمين الذين نعيش في الخارج على تأسيس الحوار مع الناس الآخرين ومع المجتمع الذي نعيش فيه.

لقد تغيرت آراء النصارى

خلال الفترة التي قام فيها النصارى بشكل خاص بدراسات حول الاديان من اجل مفهوم الاخلاق العالمي، لا نستطيع الخروج بمواجهة النصارى بآراء قالبية "مثلاً الادعاءات المتبقية عن الاجداد: عقيدة التثليث، او عيسى ابن الله، الولادة آثماً.. الخ. ولا نريد ان نترك انطباعاً سيئاً"، وإذا استطعنا ان نواجه الاحكام المسبقة والجهل بشكل مؤثر، عندها سنوفق في الاجابة على أسئلة العصر مع النصارى بشكل بناء.

والحقيقة إن القرآن وضع تحت ايدينا كل شئ من اجل الحضارة الحقيقية، وان اول المبادئ التي تفيدها هي الصدق والمرحمة. وقد حلل بديع الزمان القرآن لنا من اجل هذا القرن، ووضح لنا برسائل النور الطريق الذي رسمه القرآن للمستقبل.

وقد أحيت رسائل النور القيم الحقيقية للإسلام مثل الايمان بالله الواحد، ورحمة الله، والعبادة، والحشر والآخرة، ومسؤولية كل انسان، والصدق والاخوة واتباع سنة محمد صلى الله عليه وسلم وإقامة الفرائض وترك المعاصي وغيرها.

وإننا مضطرون لإيضاح مفهومنا الديني للآخرين وذلك باجراء الحوار مع المجتمع، ويجب ان نضع أمام الانظار المجتمع ومشكلاته.

وكي نستطيع تصحيح الشكل الكاريكاتوري للاسلام الذي تشكّل بالحكم المسبق السطحية والظاهر وبالفرعيات في افكار إخواننا الذين نجري معهم الحوار، يجب الوقوف عند النقاط الاساسية للدين وماهيتها الحقيقية. وعلينا ان نأخذ الدروس منها.

وإذا تأثر الذي امامنا بهذا التبادل الفكري الذي معناه "توطيد الاخوة"، نكون قد توصلنا الى الكثير.

إنني أسأل نفسي كيف سننجح في هذا الحوار لو لم تكن رسائل النور موجودة، وهل كنا نستطيع ان نجري تبادلاً فكرياً له هدف معين مع الآخرين؟

وذلك لأن رسائل النور تعطي بعداً مختلفاً بطراز السؤال الجديد حتى لعلماء الاسلام الذين قضوا عمرهم في تعلم دقائق دينهم.

فمثلاً لقد أعددنا قائمة الدساتير التالية من اجل توحيد الجهود مع الناس الذين يرجحون عقيدة وآراء مختلفة، من بحث الصدق في رسائل النور.

وأول ما نلتقي مع الناس اصحاب العقائد الآخرى، ،مع ممثلي الكنيسة، ومع الذين يهتمون بهذا الحوار، كانت هذه الدساتير تشكل مواضيع النقاش، وهي لا تزال هكذا. والآن اريد ان انقل لكم هذه الدساتير:

حول التعاون بين المؤمنين في موضوع الصدق

١- الحركة الايجابية، يعني عدم معاداة الآراء الاخرى بسبب حبك لرأيك.

٢- يجب التفكير بوجود روابط الوحدة ومدار الوحدة والاتفاق، مع اي مشرب من المشارب والاتفاق معها.

٣- قبول الدستور التالي لنفسك: إن كل شخص يدافع عن فكر ما يملك حق القول "إن رأيي هوالاصح". لكن لا يستطيع الايماء بأن رأى الآخرين ظلم او قبح مثل "الحق هو رأيي فقط" او "الجميل هو مشربي فقط".

٤- التفكير بأن الاتفاق مع أهل الحق هو سبب التوفيق مدار العزة في الدين.

٥-الدفاع عن الحق تجاه الباطل.

٦- حسن الظن بالآخرين ما لم يثبت العكس.

٧- السعي لكسر الانانية.

٨- الابتعاد عن الغرور والكبر.

٩- الابتعاد عن سوء الظن الذي يحرك العواطف بشكل مقصود او غير مقصود.

١٠- عدم جرح شعور الآخرين بالإثارة ، وعدم السماح للمناقشة والرياء.

١١- الحب والاحسان والعفو.

وعلينا ان نهتم بتطبيق هذه الدساتير كأهل الحق بسبب حبنا لله وللناس. وخلال ارتباطتنا مع الآخرين علينا ان نضع امام الأعين ان القرآن يخاطب كل مؤمن بالله يهودياً كان ام نصرانيا ام مسلماً، ومن اي دين كان، وانه امر ان يكون هؤلاء في حالة تنافس لعمل الخير. وذلك لأننا سنرجع جميعاً الى الله. وإن المتنافسين في سبيل الحق والعدالة وأعمال الخير لن يخيبوا ابداً لا في الدنيا ولا في الآخرة.

وخلال لقاءاتنا مع النصارى عندما انتقل الحديث عن صداقتنا معهم، لن انتقل من الموضوع دون ذكر توضيح لحديث قام به

سعيد النورسي. واريد ان اذكره لكم:

" لقد ثبت في الحديث الصحيح ان المتدينين الحقيقيين من النصارى سيتفقون في آخر الزمان مستندين الى اهل القرآن للوقوف معاً تجاه عدوهم المشترك الزندقة، لذا فاهل الايمان والحقيقة في زماننا هذا ليسوا بحاجة الى الاتفاق الخالص فيما بينهم وحده، بل مدعوون ايضاً الى الاتفاق حتى مع الروحانيين المتدينين الحقيقيين من النصارى، فيتركوا مؤقتا كل ما يثير الخلافات والمناقشات دفعاً لعدوهم المشترك الملحد المتعدي" اللمعات/ ٢٢٩

وإذا قيما الموضوع من زاوية حوارنا، وبهذه المعطيات كنا موجهين في Baden Württembery في المانيا. فقد قال لنا ممثلو الكنيسة هناك ان لا نستعجل، وانهم لم يصلوا الى هذه النقطة في مواضعهم.

ولو كنا نحن المسلمين اكثر وعياً، ولو نذرنا انفسنا للقضايا بهذا الشكل، لاضطرت الكنيسة والمجتمع لتغيير آرائهم. وذلك لأن الحكم المسبق لا يزال معمولاً به: الإسلام غير متسامح ويظلم المرأة.. الخ..

إن الذي نريده، هو زيادة عدد المسلمين الواعين والذين يعيشون عقيدتهم. وخاصة إنه من المهم ان يكونوا واعين.

والحقيقة إن هناك تطورات وتحركات متفائلة في تركيا. إن المجلات الدينية، وبرامج التلفاز والراديو الكثيرة تطرح نقاشات ذات ثقل معنوي.

إن آثار بديع الزمان سعيد النورسي التي تفتح الباب للاسلام والقرآن والايمان لم تصل لكل الناس بعد. ولم يخصص الناس وقتا لشغل عقولهم بآثار بديع الزمان سعيد النورسي. وذلك لآن هذه الآثار على مستوى عالي لغوياً ومعنوياً. وهنا يجب طباعة كتب على شكل ترجمة واختصارات قصيرة ومفهومة.

ويجب زيادة عدد المسلمين الذين يستفيدون روحياً من رسائل النور، كي يعملوا بالمعنويات الكامنة فيها، وكي يتخلصوا من الوضع المستبعدين فيه من اجل مستقبل زاهر.

إن معرفة حياة بديع الزمان، يعني معرفة أفكاره، ليس معرفة هذا الانسان العظيم فقط، بل إننا معه قبل كل شئ نتعلم الاسلام ، وهذه العقيدة بأسسها.

وقد بدأت العمل بهذا المعنى مع زوجي، واعددنا سيرة ذاتية قصيرة لسعيد النورسي.

لقد عرفت الاسلام به وأثريت ديني وعقيدتي، وقد شعر بنفس الشعور كل من قرأ هذا الكتيب، وواجهه بالعواطف الجياشة.

وأخيراً اريد ان اوجه هذه الدعوة لإخواني:

علينا ان لا ننسى ابداً، ان مبدأ المرحمة والعدالة في الاسلام فوق كل شئ، وليس من حقنا ابداً ان نجرح الآخرين ونكسرهم بسلوكنا او كلامنا.

واريد ان اقول الكلمات التالية باختصار حول رسائل النور:

لولا الله لما كان ايمان.

ولولا الايمان لما كان دين.

ولولا الدين لبقيت اسرار وخفايا الكائنات دون حل

ونرجو الله ان يهدينا الى الصراط القويم.

---

* جاجليا مريم دمير "باحثة وكاتبة": ولدت في مدينة Edingen في المانيا سنة ١٩٦٢م. بعد ان اكملت دراستها الثانوية تخرجت في مدرسة المعيدين للهندسة العالية والكيمياء التقنية.

ومنذ سنة ١٩٨٢م وهي تكتب بحوثاً حول الدين الاسلامي في مختلف المجلات باللغة الالمانية كما نشرت باللغة

الالمانية كتابين احدهما السيرة الذاتية لسعيد النورسي والآخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم. وقد قامت بنشاطات لقبول الجمعيات الاسلامية والدين الاسلامي بشكل رسمي في المانيا. وهي متزوجة وأم لولدين.